

لضمير في جزء عمّ

The Pronoun in the Part of Amma

م. م. أمل كاظم جواد الهلالي

متوسطة ذات الصواري للبنات

M.M. Amal Kazim Jawad Al-Hilali

That Al Sawari Intermediate School for Girls

amal.kadhim@qu.edu.iq

Abstract

The research revolves around the use of pronouns in the blessed section (Amma) by monitoring them and demonstrating their contextual effectiveness in enriching the Qur'anic context with the intended meanings. The research on the subject of pronouns represents one of the linguistic paths that linguists have endeavored to research, study, and demonstrate their conditions and patterns, in addition to their effectiveness at the level of linking sentences and building coherence and textual harmony. The research monitored the pronouns of the speaker, the addressee, and the absent in this blessed section of the Holy Qur'an, as the noble texts have aesthetic contexts that reveal the uniqueness of expression and the mastery of employment. The research came with an introduction that represented an introductory framework for the pronoun and its meaning at the linguistic and terminological level, and a group of its rulings, while the research was distributed over three demands that represented the applied fabric of the research, as it dealt with the pronouns of the speaker, the pronouns of the addressee, and the pronouns of the absent. Then the research was concluded with a conclusion and a list of sources and references that are the tributaries of the research.

Keywords: Pronouns, Juz' Amma, First Person, Second Person, Third Person.

الملخص

يدور البحث حول توظيف الضمائر في جزء عمّ المبارك من خلال رصدها وبيان فاعليتها السياقية في اغناء السياق القرآني بالدلالات المقصودة، إذ مثل البحث في موضوع الضمائر من المسارات اللغوية التي اجتهد علماء اللغة في البحث فيها ودراستها وبيان احوالها وانماطها، فضلاً عن فاعليتها على مستوى الربط بين الجمل وبناء التماسك والانسجام النصي، وقد رصد البحث ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب في هذا الجزء المبارك من القرآن الكريم، لما للنصوص الكريمة من سياقات جمالية تكشف عن فريدة التعبير واتقان التوظيف، وقد جاء البحث على تمهيد مثل اطاراً تعريفاً بالضمير ودلالته على المستوى اللغوي والاصطلاحي، وطائفة من احكامها، في حين توزع البحث على ثلاثة مطالب مثلت النسيج التطبيقي للبحث، فتناول ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب وضمائر الغائب، ثم أختتم البحث بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع التي مثلت روافد البحث.

الكلمات المفتاحية: الضمائر، جزء عمّ،

المتكلم، المخاطب، الغائب

المقدمة

ينطوي الضمير على أهمية بالغة في النص لما له من قوة في احداث التماسك والربط النصي بين الجمل المستقلة وتنظيمها لتكون خطاباً جمالياً يحفز المتلقي الى التفاعل مع النص، وهذا ما يتجلى في النص القرآني، فضلاً عن فوادة التعبير في سياقاته نجد ان هذه السياق لم تترك ممكناً جمالياً في اللغة الا ووظفته توظيفاً ينبئ باعجاز هذا النص المبرك، وهو ما سنتلمسه في تتبع استعمال الضمير نحويًا ودلاليًا في جزء عمّ المبرك.

الضمير لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أن "الضاد والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر ... ومن هذا الباب: أضمرت في ضموي شيئاً. لأنه يغيبه في قلبه وصوره"^(١) ولم يبتعد تعريف ابن منظور عن تعريف ابن فارس عندما عرف الضمير في (لسان العرب) بقوله: "الضمير: هو السر و داخل خاطر الضمير الشيء الذي تضره في قلبك... و أضمرت الشيء: أخفيت، وهوي مضمّر :...مخفي"^(٢)

وفي القاموس المحيط نجد ان مادة (ضمير): "الضمير بالضم وبضمتين: الهزال، ولحاق البطن... والضمير: العنب الذابل، والستر، وداخل خاطر، ج: ضائر. وأضره: أخفاه، والموضع، والمفعول: مضمّر، والأض الرجل: غيبته، إما بسفر أو بموت، ويبدو من خلال هذه التعريف، أن معاني مادة (ضمير) تام بما يلي: الدقة، والغيبة، والتستر، والستر، والإخفاء، والهزال...، وبرشدنا هذا إلى ملاحظة قيمة مفادها، أن النحاة العرب القدماء قد استلهموا المعاني اللغوية في تسميتهم للضمير.

الضمير اصطلاحاً:

يسميه البصريون مضمراً، ويسميه الكوفيون مكنياً، ولا فرق بين المضمّر، والمكنى عند الكوفيين، فمعناهما واحد وإن اختلف لفظهما، أما البصريون فيجعلون المضمرات نوعاً من المكنيات^(٣)، ويعرف الكوفي الضمير بأنه "الاسم الذي يعود إلى ظاهر قبله لفظاً، أو تقديراً؛ ويعرفه ابن مالك بأنه "الموضوع لتعيين مسماه؛ أي: بجعله معانياً للسامع، أو في حكم المعانين، بتكلمه، أو خطابه، أو غيبته"^(٤) أو هو اسم لما وضع لمتكلم كأنا، أو لمخاطب كأنت، أو لغائب ك(هو)، أو لمخاطب ترة، ولغائب أخرى، وهو الألف، والواو، والنون كما في: قوما، وقاما، وقموا، وقاموا، وقمن^(٥)، فالألف، والواو، والنون من ضمائر الرفع المتصلة، وتكون للغائب، نحو: الزيدان قاما، والزيدون

أحكام الضمائر:

الضمير أعرّف المعرف؛ وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضرر اسماً بعد ما تعلم أن من يحدث قد عرف من تغني، وما تعني، وأنت تريد شيئاً يعلمه"^(٦)، وأعرّف الضمائر المتكلم؛ لأنه لا يوهم السامع غوه، ثم المخاطب، ويتلو المتكلم في الحضور والمشاهدة^(٧)، وأضعفها تعريفاً ضمير الغائب، وعلّة المجيء بالضمير الإيجاز، والاختصار، والاحتماز من الإلباس، فأما الإيجاز والاختصار؛ فلأنه يستغنى بالحرف الواحد عن الاسم بكامله، وأما الإلباس؛ فلأن لفظ الظاهر لو أعيد لم يعلم أن الثاني هو الأول، فالأسماء الظاهرة كثرة الاشواك، فإذا قلت: زيد جاء زيد، جاز أن يؤول في (زيد) الثاني غير الأول، أما المضمرات فلا لبس فيها، نحو: زيد جاء هو^(٨)، أو: زيد جاء، تعني: هو.

والمضمرات كلها مبنية؛ لشبهها بالحروف، إما في الجمود، أو لشبهها الوضعي كالتاء في ضوبت، والكاف في ضوبك، ثم أجريت بقية المضمرات مجراها، أو لشبهها الافتقاري؛ لافتقار دلالتها إلى المرجع أو الخطاب، فهي تحتاج إلى مفير يوضحها، ويفسر العواد منها كالحروف، أو لاستغنائها عن الإعراب باختلاف صيغها، فالمقتضي لإعراب الأسماء تورد معاني مختلفة على صيغة واحدة، أما المضمرات فتستغني عن الإعراب باختلاف صيغها لاختلاف معنى كل ضمير عن الآخر، فكل واحد من المرفوع، والمجرور، والمنصوب له ضمير خاص به، مستقل عن غوه^(٩) ولذلك فإن الضمائر لا تصغر، ولا تتثنى، ولا تجمع.

وشروط المضمرات أن يتقدمها شيء يعود عليها، فقد يتقدمها لفظاً، وتقديراً، نحو قوله: ﴿وَأَلْقَمَرَ قَرْنَهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: 39]، والمعنى: قرنا له منازل فحذف الجار، أو يتقدمها في اللفظ، دون التقدير، نحو قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [البقرة: 124]، فقد عاد الضمير في ربه على إبراهيم، وهو متقدم في اللفظ دون التقدير؛ لأن رتبة المفعول به التأخير، أو يتقدم في التقدير دون اللفظ^(١٠).

ولأ (ضمير المتكلم):

لعل في تعريف ابن مالك للضمير ما ينبئ الى اهتمامه بالمتكلم اهتماماً مركزياً، بما يحمله من مهمة تعيين المقصود من تسميته، ولهذا يعرفه ابن مالك بأنه: "الموضوع لتعيين مسماه مشواً بتكلمه أو خطابه أو غيبته"^(١١) وهو ما يركز عليه السياق القرآني في جزء عمّ، إذ نجد ان الاستعمال القرآني لضمائر المتكلم يتوع بين شوع استعمال الجمع للدلالة على المفرد، واستعماله بالمفرد للدلالة على المفرد، ذلك ان هذا التوع في الاستعمال انما يتوخى الأداء البلاغي والجمال التعبوري، وهو سياق يرتبط بالمعنى العام للسرور القرآنية من جهة وبالمعنى الخاص للآية الكريمة من جهة أخرى^(١٢)

يحقق تماساً نصياً يصور محورية ضمير الخطاب ومرجعته (الرسول الكريم).

وثمة توظيف جمالي آخر لضمير المخاطب في سورة الضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَالْيَلِّ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ٣ وَمَا قَلَىٰ ٤ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٥ وَكَسِفَتِمْ يَوْمَ نُفِخَ بِنْفِخِ الْفُؤَادِ ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨﴾ [الضحى: 1-8]، فقد حقق الضمير مرجعيته الإشلية بالإشارة إلى الرسول (9)، والافصحاح عن هذا المضمير الذي تتمحور حوله هذه السورة المباركة، كما تستوقفنا مفردة ﴿بِكَ﴾ ونسبة الإضافة في هذا الاسم قائمة بين الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، الذي تشير إليه السورة لاحقاً بصفة التنكير ﴿يَتِيمًا، ضَالًّا، عَائِلًا﴾، وإضافة (ب) إلى ضمير المخاطب هو تشريف للنبي (ﷺ) من حيث خصهما الاسم متصلًا بالضمير في لفظ واحد؛ كما أن في صيغة الإفراد من التخصيص ما يُعَدُّ من تمام التشريف والتميز، يلحقه من بعد وصف النبي (ﷺ) بعبوديته لله، وفي هذا بلا شك تقريب لمترلته وتثويه به بما في إزال الوحي عليه من رفعة قره وعلو شأنه^{٢١}.

كما نلاحظ في هذه السورة ضموراً محنوقاً هو الضمير(الكاف) من الفعل (قلى) وله منافذ دلالية على الرغم أنه لم يتجانس مع ما سبقه، ولعل في هذا الحذف وواع متعددة تتمثل في تجانس الفواصل^{٢٢}، فضلاً عن التقطيع الصوتي في (ودعك) القائم على ثلاثة مقاطع بينما نجد (قلى) مؤلف من مقطعين، وهو ما يحيل دلاليًا إلى ان الوداع يكون مرحلياً بينما يكون القلى دائماً، فالسياق القرآني يريد الا يكون الوداع او القلى حاضراً في العلاقة بين الله تعالى ورسوله الكريم(9).

بينما نجد في سورة الانشراح استعمال ضمير المخاطب ليحيل المتلقي إلى الرسول الكريم (9)، ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١ وَوَضَعَ تَنَاغُثَكَ ٢ وَزَرَّكَ ٣ أَلْبَدِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ٤ وَرَفَعَ تَنَاغُثَكَ ٥﴾ [الشوح: 1-4]، فنلاحظ ضمير المخاطب (الكاف) مسنداً مرة إلى الأفعال ليحيل المتلقي إلى المخاطب بهذه الأفعال ويظهر اختصاصه بهذه الأفعال مبالغة في تصوير هذه النعم، ومرة أخرى متصلًا بحروف الجر، فضلاً عن ورود الخطاب بصورة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فُوعَتْ فَانصَبْ ٧ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ٨﴾ [الشوح: 7-8]، فتاء

الخطاب في الفعل الماضي (فوعت)، والضمير المستتر في قوله (انصب، رغب)، فورود الضمير بصيغة الخطاب اثنتي عشرة مرة يجعل من الرسول/المخاطب محوراً في هذه السورة التي يقض بها الله تعالى الفضائل والنعم التي اسبغها الله تعالى على رسوله الكريم.

والمتلقي اذ يتلمس هذه الجمالية التعبيرية فإنه يستشعر عظمة هذه العلاقة بين الله تعالى ورسوله الكريم، كما يستشعر روح العطف الحانية التي انبأ بها هذا السياق القرآني^{٢٣}، وهذا ما يصور الأمانة التي حملها الرسول الكريم (9) والتي انقض حملها ظهوره، وهي في كل هذا مشرق النور الإلهي ومهبطه، ووصلة الفناء بالبقاء، والعدم بالوجود^{٢٤}.

بهذه الوظيفة يهيمن التعبير بضمير الخطاب على السياق القرآن القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ آذِكَرِّي ٤ أَمَا مِنْ أَسْتَعْتَبُ ٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦ وَمَا عَلَيَّكَ إِلَّا يَزْكِي ٧ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ نَيْسٌ عَنِ ٨ وَهُوَ يَخْشَى ٩ فَأَنْتَ عَنْ ١٠ تَلْهَى ١٠﴾ [عيس: 3-10]، ففي هذه المساحة الضيقة من القول يحدث السياق ايجزاً وربطاً نصياً متماسكاً، جعل ضمائر الخطاب تنجح في مهمة إحالة المتلقي إلى شخص هذا المخاطب المضمير بوصفه مركز الخطاب على اختلاف أنواعه المتصل والمنفصل والظاهر والمستتر، واختلاف مواقفه الاعرابي بين الجر والرفع والنصب، وهو ما حقق تماسكاً نصياً عالياً يفصح عن توظيف لضمير الخطاب توظيفاً جمالياً في السياق القرآني^{٢٥}.

وفي سورة التكويد نجد نوعاً من أنواع الخطاب، اذ ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ نَنْ تَذَّهَبُونَ ٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْغَلْمِينَ ٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ آلِ الْغَلْمِينَ ٢٩﴾ [التكويد: 26-29]، نجد ان ضمير الرفع (الواو) وان لم يكن ضموراً للخطاب الا ان حالة الفعل المبني بالفاء تجعله في مستوى ضمير الخطاب، فضلاً عن وروده مكرراً في الآيات المتقدمة وهو على الرغم من دلالته على الجمع الا انه اشتمل على هذه الدلالة الخطابية، فدل بهذا على جماعة المخاطبين الذين يدعون ان امر الهداية مقرون بالإنسان وليس من الله تعالى^{٢٦}.

ونلمح ايضاً صورة أخرى للخطاب في سورة الماعون، اذ يقول تعالى: ﴿رُءْيَا الَّذِي يَكْذِبُ بِالْآيَاتِ ١ فَذِكِّ الْأَيْدِي يُدْعُ آلِ يَتِيمِ ٢ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ آلِ مَسْكِينِ ٣ هُوِي لِّلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ الَّذِينَ هُمْ يُؤْءُونَ ٦ وَيَمْتَعُونَ ٧﴾ [الماعون: 1-7]، يحتل التعبير بضمير الخطاب (التاء) مكاناً خطابياً متموراً في صدر هذه السورة

ففي سورة عبس يقول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۱
جَاءَهُ آلَآَعَمَى ۲ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكَّى ۳ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنْفَعَهُ آلَذِكِّرَى ۴؛ أَمَا مِنْ أَسْتَعْتَبَ ۵ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۶
وَمَا عَلَيَّ ۷ أَلَا يَبْزُكِي ۷ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۸ وَهُوَ
يَخْشَى ۹ فَأَنْتَ عَنْ هُ تَلْهَى ۱۰ كَلَّا إِنَّهَا تَذَوُّةٌ ۱۱
فَمَنْ شَاءَ ذَكُّهُ ۱۲﴾ [عبس 1-12]، يأتي ضمير الغائب
مستوراً في صدر السورة المبركة، دون ان يحدد مرجعه الذي
يعود عليه، بينما نجد عتولاً من الغياب الى الخطاب في
الآية الثالثة، وقد وفر هذا العدول اولاً للدلالة وتأثيراً
ليؤسس لثيمة الوعظ التي تجلت في استعمال مضير الغائب،
فهو خطاب يقوم على تذكير المتلقي بهذه المواقف التي قد
تصادفه يوماً دون ان يكون له دور فيها²⁴.

فالالتفات الذي حققه النص القرآني بين ضمير الغائب
الى ضمير المخاطب وهذا ما وفر بلاغة جمالية تحققت في
الخروج من النظام العام للسياق الى نظام جديد من الخطاب
يصدم المتلقي باتجاه اثره انتباهه وتحفيزه الى انتاج الدلالة
وتمثلها²⁵.

وثمة صورة أخرى في استعمال ضمير الغائب في
الخطاب القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّي وَمَنْ خَلَقَتْ
وَجِيداً ۱۱ وَجَعَلَتْ لَهُ مَالاً مِّمَّ بُودِ ۱۲ وَبَنِينَ
شُهُوداً ۱۳ وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمَّ هِيداً ۱۴ تَمْ يَطْمَعُ أَنْ
رُيْدَهُ ۱۵ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِنِيداً ۱۶ سَأَرَ هُفَهُ
ضُوعُوداً ۱۷ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۱۸ فَقَتَلَ كِيَفَ قَدَّرَ ۱۹ تَمْ قَتَلَ
كِيَفَ قَدَّرَ ۲۰ تَمْ نَظَرَ ۲۱ تَمْ عَبَسَ وَبَسَرَ ۲۲ تَمْ أَدْبَرَ
وَأَسَّكَ ۲۳ قَالِ إِنَّ هَذَا إِلا سِحْرٌ ۲۴﴾
[المدثر: 11-24]، نلاحظ مجيء الخطاب القرآني مشبعاً
بمضير الغائب ليقص ما جرى من شأن استماع الوليد بن
المغيرة للقرآن، وما ترتب على هذا الاستماع من اتها
الرسول الكريم بانه ساحر، وبرز ضمير الغائب في سياقات
تحمل من شدة التعبير وقسوته الكثير، اذ جاء مشتملاً على
حروف قوية على المستوى الصوتي لتصور هذا الوعيد الذي
توقده الله تعالى.

الا ان توظيف الضمير الغائب في النص القرآني قد
اتخذ اكثر من صورة، ففضلاً عن وظيفته في التماسك
النصي والتعويض عن الأسماء، فهو يمثل مستوى صوتي
جمالي، يمثل في توظيفه توظيفاً صوتياً في النص القرآني

المبركة، فيأتي الفعل المسند الى ضمير الخطاب
(التاء) ليكون محوراً دلاليّاً يمكن للمتلقي من خلال ان
يضع نفسه موضع المخاطب ويقدم له صوراً من صور
المكذب بالدين، هذه الصور من الاوصاف التواتبية
جاءت متكئة على ضمير واحد هو المخاطب، فالفعل رأى
المسند اليه قد جاء فعلاً ماضياً بينما الأفعال التي
أسندت الى ضمير الغائب قد جاءت بصورتها المضلعة،
وكانه مشهداً آتياً يجعل المتلقي يتتبعها، وهو ما يجعل
هذا الضمير ضموراً احالياً قد اضم مرجعه ليكون شاملاً
لكل متلقي يمر على هذه الآيات بالقراءة، وهو من يفتح
مسار التعبير القرآني ويوسعه باتجاه المجموع.

ان الصورة الحاضرة في الآية السابقة هي صورة
جمالية رائعة تجعل من مدى التأثير الخطابي للنص
القرآني واسعاً وكبواً في المتلقي، فتحوّه ليمثل هذه
المعاني والدلالات التي يوح به السياق، وكان الخطاب
مختص بهذا القارئ الذي يقرأ هذه الآيات²⁷ فجاء
ضموراً احادياً في وسط هيمنة ضمائر الغائب على سياق
الآيات، فالسياق ينشد غاية في جذب الانتباه الى هذه
الأفعال دون تحديد صاحبها، على الرغم من الإحالة
النصية المتمثلة في الاسم الموصول (الذي)، فهذه
الإحالة متعلقة بمن يتصف بهذه الأفعال، بينما نجد
ضمير المخاطب (تاء) على الرغم من كل هذا فانه احتل
مركز هذه الدلالة وسياقاتها في الآية الكريمة.

ثالثاً) ضمير الغائب

يساهم ضمير الغائب في تحقيق التماسك النصي من
خلال الربط بين الجمل والتواكيب في النص، وتبرز
جمالية هذا الضمير في النص بكونه يوفر مساحة كبيرة
للقص، اذ لا يظهر فيه ظل السرد انما يأخذ على عاتقه
سرد الحدث دون ان يكون السرد مشركاً فيه²⁸، ويتضح
جلياً في النص القرآني القصصي والذي يقدم حوادث
تجعل من المتلقي متحوراً لاستشعار المعنى الكامن وراء
هذا الضمير والاحداث المرتبطة به.

يجعل من النص تصويماً صامداً للمتلقى، ففي قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ سَوَّغَتْهَا ۱ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۲ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۳ وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَّسَهَا ۴ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَيْنَهُمَا ۵ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحْنَهَا ۶ وَنَفَسٌ ۷ وَمَا سَوَّغَهَا ۸ قَالَ هَمَّهَا فَجَوَّهَا ۹ وَتَقَى ۱۰ وَنَهَا ۱۱ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۱۲ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۱۳ كَذَّبَتْ ۱۴ تَمُودُ بِطَغْوَانِهَا ۱۵ إِذْ أَنْ أُبِيعَتْ أَشَقَّهَا ۱۶ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقَّيَهَا ۱۷ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا قَدِمَ عَلَيَّ هَمٌّ رُبُّهُمُ بَدَنُ بِهِمْ ۱۸ فَسَوَّغَهَا ۱۹ وَلَا يَخَافُ عُنُقَ بَيْهَاتِهَا ۲۰﴾ [الشمس: 1-15]، يظهر لنا ضمير الغائب المهيمن على طول السورة المبركة مظهراً صوتياً تصويماً باذخ الجمال، ففي استثمار صوت الهاء الهامس مع الف الاطلاق الذي استعمل للتنبيه ليؤديا وظيفة تنبيه المتلقي وشده، اذ يزيد هذا التكرار للضمير الهاء إشاعة جو ملامح لحو التبشير والانذار، اذ ارتبطت هذه النغمة الصوتية بالقسم في صدر الآية ليناسب موضوع التحذير والانذار فيوسخ في ذهن المتلقي وليكون المعنى مصحوباً بما يناسبه من أصوات²¹.

الا ان النص القرآني قد يعدل من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب، ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ آلَ كَوْثَرًا ۱ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ۲ وَأَنْزَحْرَ ۳ إِنَّ شَانِكَ هُوَ آلَ أَبَرَّ ۴﴾ [الكوثر: 1-3]، اذ تحوّل الضمير من المتكلم (انا اعطيناك الكوثر) الى ضمير الغائب في قوله (فصل لربك وانحر) على سبيل الالتفات، اذ غير عن المعنى على الرغم من ان مقتضى ظاهر الحال ان يعبر عنه بغوه²² ومقتضى السياق ان يكون (فصل لنا) الا ان في لفظه (بك) والتي فيها عدل الخطاب الى الغائب لما تحمل من دلالة التربية والرعاية للرسول الكريم (9) زيادة في الترخيب، فالتعبير بضمير الغائب ابلغ من التعبير بضمير المتكلم بما سيحمل من دلالة التحريض على الصلاة لحق الربوبية²³ فضلاً عن بلاغة هذا الأسلوب الذي تحقق في ضمير الغائب، فانه الايماء الى استحقاق الله تعالى بالعبادة والربوبية يجعل من السياق اكثر ابلاغاً وجمالية مما لو كان التعبير بضمير المتكلم²⁴.

وخلص القول، ان الضمير الغائب وتوظيفه في النصوص القرآنية في جزء عمّ قد جاء ليمنح السياق دلالة الشمول ليوسع من مصاديق الدلالة الكريمة للنصوص، وقد جاء هذا التوظيف مرتكواً على توظيف بنية الالتفات بقيمتها البلاغية التي تشحن السياق بالقوة التعبيرية والطاقات الياحائية في تمثل دلالة النصوص الكريمة،

الخاتمة

بعدما وصل البحث نهايته، لا بد ان نضع ما توصل اليه من نتائج حتى تكمل الفائدة منه، ولهذا فقد توصل البحث الى النتائج الآتية:

1. تُعد الضمائر بنية لغوية اساسية من بيئة الكلام العوبية، فتقوم بالعديد من الوظائف الضرورية سواء لأداء المعاني او للاقتصاد في الكلام، وهذا ما يعكس حيوية اللغة.
2. للضمائر مجموعة من الاحكام كاعتبارها من المعرف لشبها الاسماء، والتوامها حالة البناء وعودها على متقدم، وهذا يفرض على المتكلم بها سياقات نحوية وصرافية يمكن من خلال اداء المعاني التي يريد وتأكيد صحتها.
3. تتميز الدرس العوبي على مستوى اللغة والنحو والصرف بهيمنة الخلاف على مسرات الواسة فيه، ولا سيما الخلاف بين المدرستين الكوفية والبصرية، وهذا يعكس التفكير اللغوي العوبي وغناه، ويقدم صورة لما كان يجول في حلقات الدرس.
4. لم يفسر النحويون أصل الضمائر، ولم يفقوا كثيراً عند هذا الامر، بل انشغوا بتقديم تصوراتهم عن الصيغة التي جاءت بها هذه الضمائر.
5. كشف البحث عن دور ضمير المتكلم الذي منحه السياق القرآني فاعلية اكبر بتحويله الى بؤرة مركزية تتمحور حولها الدلالة النصية، فتعود اليها مع كل فعل جديد، بانصاله بذات الضمير العائد على مرجعه المضمر، وهو ما يخدم الفكرة المحورية للنص، التي تُبنى عليها النصوص القرآنية التي يهمن على سياقها استعمال ضمير المتكلم.
6. جاءت ضمائر الخطاب للتعبير عن غاية النص القرآني في جنب الانتباه الى الأفعال من دون تحديد صاحبها، على الرغم من بعض الاحالات النصية والقوانين اللغوية التي تتعلق بمن يتصف بهذه الأفعال، وكان النص يصنع من القرائن مخاطباً ليحمله معنياً بالمعنى، وهو ما يمنح هذه الضمائر بعداً دلالياً فاعلاً في بناء المعنى وتوجيهه.

اتضح خلال البحث قيمة الضمير الغائب وتوظيفه في النصوص القرآنية في جزء عمّ، فقد جاء ليمنح السياق دلالة الشمول ليوسع من مصاديق الدلالة الكريمة للنصوص، وقد جاء هذا التوظيف مرتكواً على توظيف بنية الالتفات بقيمتها البلاغية التي تشحن السياق بالقوة التعبيرية والطاقات الياحائية في تمثل دلالة النصوص الكريمة.

المصادر والعواجم

القرآن الكريم

- 17) الشوكاني، محمد بن علي(2007م)، فتح القدير الجامع بين الرواية والرواية من علم التفسير، ط1، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت.
- 18) الطباطبائي، محمد حسين(د.ت)، الميزان في تفسير القرآن، ط1، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، (د. ت).
- 19) عبد القادر، إسماعيل(2008م)، توقع صور الالتفات في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية، رسالة ماجستير، كلية اللغات العليا، جامعة ام درمان الإسلامية، السودان.
- 20) العكري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين(1995م)، اللباب في علل البناء والإعجاب، ط1، تحقيق: عبد الاله النبهان، دار الفكر المعاصر، دمشق.
- 21) _____(1976م). التبيان في إعراب القرآن، ط1، تحقيق: علي محمد البجوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- 22) الفقي، صبحي إواهيم(2000م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 23) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(2008م)، القاموس المحيط، ط1، تحقيق: انيس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة.
- 24) القرويني، الخطيب(2003م)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدع، ط1، تحقيق: إواهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 25) محمد، عصام عبد الله(2014م)، الضمير ودوره في اثارة انتباه السامع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة السودان للعلوم، المجلد15، العدد4.
- 26) مرتاض، عبد الملك(1998م)، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت.
- 27) مشوي، عبد الناصر(2006م)، سورة الكهف- دراسة دلالية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي موباح، الجزائر.
- 28) يوسف، معاذ موسى(2013م)، البناء الفني في قصار السور، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البحث العلمي والوحدات العليا، جامعة جرش، الأردن.

- 1) ابن راشد، راشد بن حمود(2011م)، عادات القرآن الاسلوبية واسة تطبيقية، ط1، دار التدمرية، الرياض.
- 2) ابن عاشور. الطاهر(1984م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 3) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن(1980م)، شوح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ط20، تحقيق: محمد محي عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- 4) ابن فارس، احمد(1979م)، معجم مقاييس اللغة، ط1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- 5) ابن مالك، محمد بن عبد الله(1992م)، شوح التسهيل، ط1، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد مختون، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
- 6) ابن منظور، محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت.
- 7) ابن هشام، جمال الدين الاتصري(1974م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط6، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- 8) ابن يعيش، موفق الدين يعيش(1422هـ)، شوح المفصل، ط1، تحقيق: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 9) أبو رحمة. رياض محمد علي(2013م)، التويل النحوي في جزء عم واسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الإهر. غزة، فلسطين.
- 10) الجنابي، سيروان عبد الوهبة(2009م)، قراءة دلالية في محنوف سورة الضحى، حولية المنتدى، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، المجلد 1، العدد 2.
- 11) الدهون، هيثم سلمان(2018م)، سورة الشرح واسة تحليلية وتسلية معنوية، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإهر، المجلد20، العدد1.
- 12) النوغان، محمد بن احمد(2008م)، ضمير الجلالة المقفد المتكلم في القرآن الكريم، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 9، العدد 1.
- 13) رابعه، نوال فالح(2015م)، التماسك النصي في جزء عم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.
- 14) الزركشي، بدر الدين محمد(1957م)، الوهان في علوم القرآن، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إواهيم، دار احياء التراث، القاهرة.
- 15) سيبويه، عمرو بن عثمان(1988م)، الكتاب، ط3، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 16) سيد قطب، محمد(2003م)، في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق، القاهرة.

- الهوامش
٣١. ينظر العكوي، التبيين في اعواب القرآن: 271/2.
٣٤. ينظر: عبد القادر، توع صور الالتفات في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والاعجازية: 120.
٣٥. ينظر: يوسف، البناء الفني في قصار السور: 91.
٣٦. ينظر: القزويني، الايضاح في علوم البلاغة: 75.
٣٧. الزركشي، الوهان في علوم القرآن: 317/3.
٣٨. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 574/30.
١. ابن فرس، معجم مقاييس اللغة: 371/3.
٢. ابن منظور، لسان العرب: 492/4.
٣. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: 981.
٤. ابن يعيش، شوح المفصل: 84/1.
٥. العكوي، اللباب في علل البناء والإعواب: 47/1.
٦. ابن مالك، شوح التسهيل: 120/1.
٧. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 83/1.
٨. سيبويه، الكتاب: 6/2.
٩. شوح المفصل، 84/1-85.
١٠. العكوي، اللباب في علل البناء والاعواب: 474.
١١. ابن عقيل، شوح ألفية ابن مالك: 80/1.
١٢. ابن يعيش، شوح المفصل: 90/1.
١٣. ابن مالك، شوح التسهيل: 120/1.
٢٤. ينظر: اللوغان، ضمير الجلالة المفرد المتكلم في القرآن الكريم: 2.
١٥. الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والرواية من علم التفسير: 1575.
١٦. الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: 161/20.
١٧. محمد، الضمير ودوره في اثارة انتباه السامع: 112.
١٨. ينظر: ابن راشد، عادات القرآن الاسلوبية: 128/2.
١٩. ينظر: الزركشي، الوهان في علوم القرآن: 410/2.
٢٠. ينظر: ربابعة، التماسك النصي في جزء عمّ: 208.
٢١. ينظر: مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد: 225.
٢٢. ينظر: الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية: 148/1.
٢٣. مشوي، سورة الكهف - دراسة دلالية: 74.
٢٤. ينظر: الجنابي، قراء دلالية في محنوف سورة الضحى: 117.
٢٥. الدهون، سورة الشوح دراسة تحليلية وتسلية معنوية: 422.
٢٦. سيد قطب، في ظلال القرآن: 393/6.
٢٧. ينظر: أبو رحمة، التؤول النحوي في جزء عم دراسة تحليلية: 284.
٢٨. الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والرواية من علم التفسير: 524/5.
٢٩. ينظر: أبو رحمة، التؤول النحوي: 285.
٣٠. مرتاض، في نظرية الرواية: 194.